الرأي 27-شباط 2011

شيخ النحاتين العراقيين محمد حكمت: سأواصل النحت حتى اليوم الأخير في حياتي

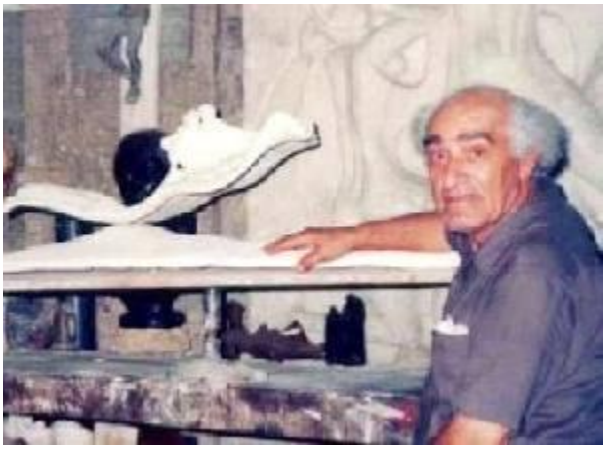

سميرة عوض

لهذا الحوار حكاية تروى، فمن على سرير الشفاء في الغرفة 162، الطابق الثاني في مستشفى الخالدي، حاورت النحات والفنان العراقي الكبير محمد غني حكمت، بعد ساعات قليلة من استئصال «حصوة» اختارت كليَتَه لتسكنها. تم الحوار في الخامسة مساء الخميس، وتواصل على مدار ثلاث ساعات، وكان يمكن أن يستمر لولا نظرة الحب في عينَي زوجته، التي تريد الراحة لزوجها شفاه الله.

وكان معرض افتُتح لأعمال حكمت في **جاليري بنك القاهرة عمّان في 24 كانون الثاني 2011**، حضرت فيه اللوحات، وحضر الأصدقاء، لكن الفنان وحده غاب، بسبب المرض.

حكمت، الذي أقام في عمان لسنوات، عاد قبل أشهر إلى بغداد، المدينة التي يصفها بقوله: «بغداد عروس جميلة، تلبس بذلة العرس، لكنها متسخة». وقد توقف الحوار مرات عدة، بسبب بكاء الفنان المرهف كلما نطق بكلمة «بغداد».

- أُطلق عليك لقب «شيخ النحاتين»، كيف تشعر إزاء هذا اللقب بعد سبعة عقود من ممارستك فن النحت؟.

لقد جاء هذا اللقب بسبب من عشقي للفن، وتحديدا فن النحت، وثانيا بسبب أعمالي التراكمية في هذا المجال. وبصراحة، أشعر في نهاية الأمر أنني حزين، لأني بقيت وحدي من العنقود، عنقود الفنانين، فرفاقي وجماعتي ذهبوا إلى دار الحق، رحمهم الله، لكنني بقيت مصراً على الاستمرار في العمل، حتى آخر يوم في عمري، خصوصاً في الأعمال النصبية الكبيرة، في الساحات والميادين، رغم تحذيرات الأطباء لي، نظراً لوضعي الصحي.

- افتُتح مؤخراً معرضك «فنان من الجيل الجميل»، في جاليري بنك القاهرة عمّان. ماذا عن هذا المعرض، وأنت ترقد على سرير الشفاء؟.

هذا المعرض تأجل مرتين لأسباب صحية، ويضم أكثر من 40 لوحة من البرونز مختلفة الأحجام، ومختلفة المواضيع، فأنا لست نحاتا عربيا «غير أبالي». أنا ملتزم أخلاقيا أمام المجتمع. وفي هذا المعرض أتحدث عما يحيط بنا من محن ومن مشكلات أخرى، أتحدث عن تاريخ أمتي، تاريخ شعبي. مواضيعي بالغة الأهمية، وتوجه للآخرين رسالة كي يحترموا تاريخهم القديم.

- وأنت العائد إلى بغداد قبل أشهر، بعد غياب دام لسنوات. ماذا تقول عن هذه العودة ومناسبتها؟.

أنا بغدادي، كرخي، وأحببت مدينتي مثل الآخرين، مثل كثيرين من أهل بغداد، وأنجزت تماثيل تمجد تاريخ العراق، وثقافته وآدابه، وهي منتشرة الآن في شوارع بغداد وساحاتها، فأصبحت مميزا في اهتمامي بمثل هذه المواضيع. وفي الآونة الأخيرة، اتصل بي أمين عاصمة بغداد يطلب مني ما لدي من مواضيع جديدة، لإقامة تماثيل جديدة في بغداد، أو نوافير، ودعاني للمجيء إلى بغداد بتكريمه الخاص والرسمي، شجعني هذا الأمر أن آخذ معي ما أنجزته من مواضيع عن بغداد، واستقبلني أمين العاصمة، ووافق على تنفيذ أربعة أعمال، وطلب مني اختيار مواقعها في المدينة، وبالفعل قررنا مشتركين الأعمال التي ستنفذ، واخترنا المواقع وما يزال العمل مستمرا لانجازها، وهي من مادة البرونز.

- ما هي المضامين التي ستحملها هذه التماثيل؟.

أولها يحمل بيت شعر من قصيدة للشاعر الراحل مصفى جمال الدين، يتغزل في بغداد «بغداد ما اشتبكت عليك/ إلا ذوت وريق أمرك أخطر»، وسيوضع على نهر دجلة من جهة الكرخ، والثاني يمثل فانوس علاء الدين، كنفافورة ستكون في حديقة المخابلة، مقابل المسرح الوطني - شارع السعدون، والثالثة تمثال بغداد يمثل مسلة بغداد، وهي من الرخام منحوت عليها أشعار مختارة لشعراء محدثين وقدماء، تمجد تاريخ المدينة، وفوق المسلة تمثال امرأة جالسة تمثل بغداد، سيوضع في شارع الرشيد. أما الرابع فيمثل ختما أسطوانيا، يرمز إلى ثقافات العراق القديمة مكتوب عليه باللغة المسمارية: «من هنا بدأت الكتابة: هذا الختم الأسطواني مكسور وعلى وشك السقوط، وهناك شخص رمزي ذو خمسة أذرع يحاول أن يسند الختم ويمنعه من السقوط». وسيكون موقعه في مدخل حديقة الزوراء، ولا يزال العمل على تنفيذ التماثيل جاريا، لتحويرها إلى مادة البرونز، ونحن نعمل جاهدين للانتهاء من إنجازها قبيل افتتاح مؤتمر القمة العربية نهاية آذار 2011.

- كم غبت عن بغداد.. وكيف شعرت لحظة عناقها؟.

غبت عنها ست سنوات. بغداد عروس جميلة، تلبس بذلة العرس لكنها متسخة، بكيت وقتها مرتين.. مكثت فيها لشهرين، على فترات متقطعة، أثارني صوت البلابل، ومناغاة بعضها لبعض كأنها أوركسترا سيمفونية من مطلع الصبح. وغناء الحمام الذي نسميه «فاختي» أثارني، ومنظر النخيل وهدوء بغداد في الليل يأخذك نحو جماليات بغداد. تبقى بغداد جميلة، ربما أن بنايتها وسخة وشوارعها قذرة حالياً، لكن هذا سيزول مع الوقت، وتظل بغداد الأصيلة، يلتقي فنانوها وشعراؤها ومهندسوها ومفكروها في أفيائها.. بغداد جوهرة، من أين نظرتِ إليها تتلألأ..
- بعد سبعة عقود من العلاقة مع النحت، كيف تشعر إزاء كتلة النحت؟.
علاقتي طبيعية مع المادة، أو الكتلة التي تشكل المادة الخام لنحتي. إنها علاقة امتنان لهذه المادة التي أشكلها كما أرى، وهي علاقة محبة أيضا، لأنني أحببتها منذ طفولتي ومن الصعب أن أستغني عنها حتى آخر يوم في حياتي، لهذا أعتقد أنني سأستمر رغم كل التحذيرات الصحية.
- كيف يرى النحات الشكل المنحوت داخل المادة الخام.. أقصد ما سيكون عليه النحت لاحقا؟.
النحات ينحت الشكل في الفضاء، سواء أكانت المادة الخام حجرا أو مرمرا أو برونزا، فخياله هو التمثال.
- لديك رسالة، تتبدى في اختيارك للشخصيات والمواضيع التي تجسدها في منحوتاتك..
أنا أنتخب الشخصيات التاريخية المهمة التي تستحق التخليد في الشارع العربي، ومن بين الشخصيات التي اخترتها: المتنبي، حمورابي وأبو جعفر المنصور.
- تستلهم الأساطير في أعمالك.. ما الذي يغريك بأسطورة دون غيرها؟.
لي اهتمام بالمنحوتات التي تتحدث عن الأساطير. أختار الأسطورة، وأحدد الجوانب الإنسانية فيها، وأميل أكثر للأسطورة التي تتحدث عن أمنيات الإنسان، أو رغبته في القضاء على الشر، وهذه يمثلها تمثال «علي بابا والأربعين حرامي» الموجود في بغداد، لكنني استبعدت تماما شخصية «علي بابا»، وأبقيت البطولة لجاريته «كهرمانة»، هي المرأة الذكية.
كذلك تناولت في أحد التماثيل أسطورة «الجنية والصياد»، التي تتحدث عن أماني الصياد في الحياة، بأن يأتي جني وينفذ له ما يريد، وعندما يفتح الصياد الجرة تخرج جنية بدل الجني، وتطلب منه أن يتمنى. إنها أمنية أي إنسان. كما اهتممت ببساط الريح، فجسدته يركبه شخصان، يحاولان التحليق لرؤية العالم واكتشافه، وهو موجود عند مدخل مطار بغداد الدولي، أنجزته العام 1980، طوله 20 مترا من النحاس.
- هذا يشي بعمق اطلاعك، وحبك للقراءة، والإيغال بين صفحات الكتب، فماذا تقرأ، وما عنوان آخر كتاب قرأته، وما الكتاب الذي تحب إعادة قراءته؟.
اهتمامي كبير بكتب التاريخ والأدب، وهي اهتمامات تتكامل مع اهتمامات زوجتي، فكتبها تكمل كتبي، وهي الآثارية المتخصصة بهذا المجال.
آخر ما قرأت كتاب «الأفندي والعمامة» للدكتور فالح عبد الجبار، وتاريخيا أنا معجب بكتاب «ألف ليلة وليلة»، لكونه ممتلئاً بالخيال.
- هل يختلف تلقي الإنسان العربي للفن عن الإنسان الغربي؟.
الإنسان غير العربي في الخارج يطمح لرؤية أعمال جديدة غريبة جميلة تختلف عن رؤيته الشخصية وما يحيط به من فنون، لهذا ينتبه لكل ما هو جديد.. وشخصيا لا فرق لدي، لا أهتم كثيرا إن كان المتلقي عربيا أو غربيا، ما يهمني بلدي، أحب بلدي؛ والعالمية ثالثا ورابعا....
- يظل للمكان الأول حضوره الطاغي.. وبغداد مكانك الأول..
ما «شُفْتُ» أجمل منها.. بقيت معي ذكرياتي من طفولتي أتمسك بها حتى الآن. كل بغداد هي مكاني الأول.. وطفولتي وشبابي عشتهما في مدينة بغداد.
- وماذا عن أول السفر، كيف ولماذا؟.
دمشق وبيروت، وكانت المناسبة للسياحة والتجربة. سافرت وحدي، لكنني حتى اللحظة أتذكر الشام وبيروت. وأذكر أن الشاعرين عبدالوهاب البياتي وبدر شاكر السياب، كلفاني بحضور المؤتمر الأول للأدباء العرب الذي أقيم وقتها في دمشق، لأنهما كانا ممنوعين من السفر. ذهبت إلى دمشق وحضرت المؤتمر، وقدمت عنهما أوراق الشعراء والمثقفين العراقيين ومقترحاتهم آنذاك.
أما سفري إلى بيروت، فكان للاستمتاع والتعرف على الفنانين.. ولفترة طويلة بقينا أصدقاء مع عائلة النحاتين اللبنانيين بصبوص.
- حملك الفن للسفر إلى عديد الأماكن في العالم.. ماذا يحضر منها؟.
تكررت سفراتي إلى أوروبا، وسفرات أخرى في وفود رسمية لحضور مؤتمرات فنية تشكيلية في أميركا، كندا، أوروبا، روسيا، وبلدان أخرى أقمت في بعضها معارض شخصية لي، وفي بعض المدن قدمت محاضرات عن النحت العراقي وحول أعمالي مصحوبة بالصور.. وإظهار مدينة بغداد «قبل الغزو»، إظهار مدينة بغداد؛ هذا هو همي.
- درست الفن في روما أواسط الخمسينيات، ماذا عنها.. كيف تستحضرها؟.
حين ذهبت إلى روما، كانت أوروبا خارجة لتوها من الحرب العالمية الثانية.. كانت مدينة تعبة مهدمة، وكان لا يسكنها إلا أهلها، وكان فنانوها متمسكين بتقاليد الفنون، فدرست وتدربت على أيادي أساتذة كبار في العمر والتجربة، تعلمت منهم احترام الطين، واحترام الوقت، وهما العاملان المهمان في العمل الفني. لم تكن في روما آنذاك -بداية شباط 1955- لا سيارات كثيرة ولا ازدحام البشر، روما لأهل روما فقط، كانت مدينة رائعة وممتلئة بالفنون، وأهلها فنانون.
- انطلقت من روما لزيارة مدن أخرى في أوروبا.. فماذا لفتك فيها؟.
اطلعت على الكنائس، القصور، الحدائق، وعلى الأماكن المهمة في تاريخ أوروبا. وعلمتني هذه الجولات كيف أكون محافظا على شخصية عملي، وأسلوب وطريقة تنفيذ عملي من دون أن أمد يدي إلى أي فنان آخر. وكنت استلهمت أسفاري في الأبواب الكبيرة التي نفذتها في روما ودبي والكويت وبغداد وأماكن أخرى من العالم وفي نصبي وجدارياتي الموجودة في ساحات بغداد.
- وماذا عن المتاحف.. هل كانت على جدول زياراتك في أسفارك؟.
المتاحف تختصر التاريخ، والمتاحف الفنية تستعرض فن البلد، أزور كل متحف مرة واحدة، بغرض المقارنة أيضا.
- ماذا عن طقسك في التعرف على الأماكن الجديدة؟. وكيف تشعر إزاء المدن التي تزورها للمرة الأولى؟.
أسلوبي هو التجوال، يحسب المكان الذي أكون فيه، أعتمدي على خريطة استكشاف المكان الذي أريد، ثم أبحث عن التفاصيل بمحيط 100 متر في المكان الذي أسكن فيه للمرة الأولى، وهو يمثل مدينة صغيرة.
في الزيارات الأولى للمدن، هناك منها ما تشعرين بمحبة تجاهها من خلال تصرف شخص أو منظر معين، وربما يحدث العكس أحيانا، مثل موقف مزعج في المحطة يبعدك عن محبة المكان..

- ما أكثر المدن التي أحببتها، وأي منها ترغب في زيارته ثانية؟.
أحببت كثيرا مدينتَي فيرونا وفلورنسا. وأكثر مكان يعاودني الحنين إليه فلورنسا.
- كيف ترى إلى الفرق بين الأجيال الفنية؟.
بلا مبالغة كان تعبير «فنانو جيل»، ينطبق علينا، كنا فنانين تجمعنا قواسم مشتركة عدة، أهمها الثقافة، من خلال المعارض الفنية والعروض المسرحية والأمسيات الموسيقية. تجمعنا هذه المناسبات وتخلق جوّا من الصداقة وتُوجد نوعا من عدم المنافسة غير الطبيعية. جوُّنا كان نظيفا، الفن جَوّه نظيف جدا، وكانوا قارئين نهمين.. يتابعون الكتب، ويهتمون بالمجلات العالمية، ويتحدثون أكثر من لغة، بشكل عام كانوا ذوي اطلاع واسع، وهذا ما جعلهم واسعي الأفق، الأمر قلما نجده عند الفنانين الشباب حاليا.
ولد الفنان محمد غني حكمت في بغداد العام 1929، تخرج في معهد الفنون الجميلة العام 1953، حصل على دبلوم النحت من أكاديمية الفنون الجميلة بروما العام 1959، كما حصل على دبلوم الميداليات من مدرسة الزكا بروما العام 1957، وحصل على الاختصاص في صب البرونز من فلورنسا العام 1961.
وهو عضو مؤسس في جماعة الزاوية وتجمع البعد الواحد، عضو في جماعة بغداد للفن الحديث، أسهم في معظم المعارض الفنية داخل العراق وخارجه، حاز جائزة أحسن نحات من مؤسسة كولبنكيان 1964. له مجموعة من التماثيل والنصب والجداريات التي صممها في بغداد، منها: شهريار وشهرزاد، علي بابا والأربعون حرامي، حمورابي، جدارية مدينة الطب، أبو الطيب المتنبي.
أقام العديد من المعارض الشخصية للنحت في روما، سان ريمو، بيروت، لند، وبغداد، كما شارك منذ العام 1951 في معارض جماعية ومتجولة خارج العراق، في روما وبيروت وغيرهما. درّس النحت في أكاديمية الفنون الجميلة في بغداد منذ العام 1962.